

تفسير البحر المحيط

@ 537 الإقدام أي : لا يكتفون في إظهار الفساد إلا بنقل أقدامهم بعضهم لبعض ، فيكون أبلغ في الاجتهاد ، والظاهر أنه يراد به العمل . والفعل أي : يجتهدون ، في كيد أهل الإسلام ومحود ذكر الرسول من كتبهم . والأرض يجوز أن يراد بها الجنس ، أو أرض الحجاز ، فتكون آل فيه للعهد . قال ابن عباس ومقاتل : فسادهم بالمعاصي . وقال الزجاج : بدفع الإسلام ومحو ذكر الرسول من كتبهم . وقيل : بسفك الدماء واستحلال المحارم . وقيل : بالكفر . وقيل : بالظلم ، وكل هذه الأقوال متقاربة . .

{ وَاللَّاهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } طاهر المفسدين العموم ، فيندرج هؤلاء فيهم . وقيل : آل للعهد ، وهم هؤلاء . وانتفاء المحبة كناية عن كونه لا يعود عليهم بفضله وإحسانه ، فهؤلاء يثيبهم . وإذا لم يثيبهم فهو معاقبهم ، إذ لا واسطة بين العقاب والثواب . . .

{ وَلَوْ أَنَّنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلًا لَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } . قيل : المراد أسلافهم ، ودخل فيها المعاصرون بالمعنى . والغرض الإخبار عن أولئك الذين أطفأ □ نيرانهم وأذلم بمعاصيهم ، والذي يظهر أنهم معاصرو الرسول صلى □ عليه وسلم) ، وفي ذلك ترغيب لهم في الدخول في الإسلام . وذكر شيئين وهما : الإيمان ، والتقوى . وترتب عليهم شيئين : قابل الإيمان بتكفير السيئات إذ الإسلام يجب ما قبله ، وترتب على التقوى وهي امتثال الأوامر واجتناب المناهي دخول جنة النعيم ، وإضافة الجنة إلى النعيم تنبيهاً على ما كانوا يستحقونه من العذاب لو لم يؤمنوا ويتقوا . وقيل : واتقوا أي : الكفر بمحمد صلى □ عليه وسلم) ، وبعبسى عليه السلام . وقيل : المعاصي التي لعنوا بسببها . وقيل : الشرك . قال الزمخشري : ولو أنهم آمنوا بمحمد صلى □ عليه وسلم) وبما جاء به ، وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريعة في الفوز بالإيمان ، لكفرنا عنهم تلك السيئات ، فلم نؤاخذهم بها ، ولأدخلناهم مع المسلمين الجنة . وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ، ودلالة على سعة رحمة □ تعالى وفتح باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى ، وأن الإيمان لا ينجى ولا يسعد إلا مشفوعاً بالتقوى كما قال الحسن : هذا العمود فأين الأطناب ؟ انتهى كلامه . وفيه من الاعتزال . وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريعة في الفوز بالإيمان ، وقوله : وأن الإيمان لا ينجى ولا يسعد إلا مشفوعاً بالتقوى . .

{ وَلَوْ أَنزَلْنَاهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ
مِّن رَّبِّهِمْ لَآكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } هذا استدعاء
لإيمانهم ، وتنبيه لهم على اتباع ما في كتبهم ، وترغيب لهم في عاجل الدنيا وبسط الرزق
عليهم فيها ، إذ أكثر ما في التوراة من الموعد به على الطاعات هو الإحسان إليهم في
الدنيا . ولمّا رغبتهم في الآيّة قبل في موعود الآخرة من تكفير السيئات وإدخالهم الجنة ،
رغبتهم في هذه الآيّة في موعود الدنيا ليجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة ، وكان تقديم
موعود الآخرة أهمّ لأنه هو الدائم الباقي ، والذي به النجاة السرمديّة ، والنعيم الذي لا
ينقضي . ومعنى إقامة التوراة والإنجيل : هو إظهار ما انطوت عليه من الأحكام والتبشير
بالرسول والأمر باتباعه كقولهم : أقاموا السوق أي حركوها وأطهروها ، وذلك تشبيه بالقائم
من الناس إذ هي أظهر هيأته . وفي قوله : والإنجيل دليل على دخول النصرى في لفظ أهل
الكتاب . وظاهر قوله : وما أنزل إليهم من ربهم ، العموم في الكتب الإلهية مثل : كتاب
أشعيا ، وكتاب حزقيل ، وكتاب دانيال ، فإنها مملوءة من البشارة بمبعث الرسول . وقيل :
ما أنزل إليهم من ربهم هو القرآن . وظاهر قوله : لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، أنه
استعارة عن سبوغ النعم عليهم ، وتوسعة الرزق عليهم ، كما يقال : قد عمه الرزق من فرقه
إلى قدمه ولا فوق ولا تحت حكاه الطبري والزجاج . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ،
والسدّي : لأعطتهم السماء مطرها وبركتها ، والأرض نباتها كما قال تعالى : { لَفَتَتْ حَذَا
عَلَايِهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } وذكر النقاش من فوقهم من رزق الجنة ،
ومن تحت أرجلهم من روق الدنيا إذ هو من نبات الأرض . وقيل : من فوقهم كثرة